الفصل الثاني و الثلاثون

مكايد العدو

ان الصراع الهائل بين المسيح والشيطان والذي دارت رحاه وسار قدما مدة تقرب من ستة آلاف سنة صار قريبا من نهايته، والشرير يضاعف جهوده ليقضي على عمل المسيح لاجل الانسان ويقيد النفوس بأحابيله. ان غرضه الذي يريد أن يحققه هو أن يبقي الناس في الظلمة وصلابة القلب حتى تنقضي مدة وساطة المخلص ولا تبقى بعد ذلك ذبيحة عن الخطيئة.

عندما لا يُبذل مجهود جدي خاص لمقاومة سلطان الشيطان، وعندما يسود في الكنيسة وفي العالم الاهمال وعدم المبالاة فهو لا يهتم كثيرا لانه لا خطر عليه من خسارة الذين قد استأسرهم وهم يسيرون في ركابه مكبلين بالاغلال وخاضعين لارادته. ولكن عندما يبدأ الناس بالالتفات الى الامور الابدية وتسأل النفوس قائلة : « ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص ؟ » عند ذلك ينبري الى ساحة القتال محاولا أن يستخدم قوته ضد قوة المسيح ويوقف تأِثير الروح القدس.

والكتاب المقدس يعلن أنه عندما جاء الملائكة ذات مرة ليمثلوا أمام الرب جاء الشيطان أيضا في وسطهم (أيوب ١: ٦) لا ليسجد أمام الملك السرمدي بل ليخدم غاياته الخبيثة ضد الابرار. وعندما يجتمع الناس ليعبدوا الله يجيء هو في وسطهم لهذا الغرض نفسه ويعمل بخفاء طالبا السيطرة على أفكار

العابدين. وكالقائد المحنك يرسم خططه مقدما. واذ يرى رسول الله وهو يفتش الكتب يأخذ هو مذكرة بالموضوع الذي سيعرض على الشعب وحينئذ يستخدم كل دهائه ومكره لكي يسيطر على الظروف بحيث لا تصل الرسالة الى الذين يغرر بهم في ذلك الموضوع بالذات. والشخص الذي هو احوج الناس الى الانذار تُلزمه الظروف بأن يخرج ليشترك في صفقة تجارية تقتضي حضوره، أو بوسيلة أخرى يُمنع من سماع الاقوال التي كان يمكن أن تُضفي نكهة حياة على حياته.

ثم ان الشيطان يرى عبيد الرب واذا هم مثقلو القلوب بسبب الظلام الروحي الذي يكتنف الناس. وهو يسمع صلواتهم الحارة في طلب النعمة والقوة الالهيتين للقضاء على سحر عدم الاكتراث والاهمال والكسل. حينئذ يحبك هو مؤامراته بغيرة مجددة. فهو يجرب الناس لينغمسوا في شهوة الطعام أو أي صورة من صور ارضاء شهوات النفس، وهكذا يخدر حساسيتهم بحيث يخيبون من سماع الحقائق نفسها التي هم في أمس الحاجة الى سماعها وتعلمها.

والشيطان يعرف جيدا ان كل من يستطيع أن يسوقهم الى اهمال الصلاة وتفتيش الكتب سينهزمون أمام هجماته. لذلك هو يبتكر كل حيلة ممكنة ليشغل العقل. وقد وُجد في كل العصور فئة من الناس يعترفون بالتقوى، الذين بدلا من التقدم لمعرفة الحق يجعلون ديانتهم منحصرة في البحث عن خطإ في اخلاق الذين يخالفونهم الرأي أو عن ضلال في عقيدتهم. هؤلاء هم أعظم معاضدي الشيطان. ان المشتكين على الاخوة ليسوا قليلين، وهم يكونون دائما نشيطين عندما يرون الله يعمل وعندما يقدم اليه عبيده ولاءهم الحقيقي. انهم يصبغون أقوال الذين يحبون الحق وأعمالهم بصبغة كاذبة، ويصورون أعظم خدام المسيح حرارة وغيرة وانكارا للذات على أنهم مخدوعون أو خادعون. فعملهم هو تشويه البواعث على كل عمل حقيقي ونبيل ونشر الوشايات واثارة الشبهات في عقول البسطاء، وفي كل حالة محسوسة يحاولون أن يمسخوا كل ما هو طاهر وعادل بحيث يراه الناس فاسدا وخادعا.

ولكن لا حاجة بأحد الى أن ينخدع بهؤلاء. فقد يُرى سريعا أبناء من هم، وأي مثال يتبعون، وعمل مَنْ يقومون به. « من ثمارهم تعرفونهم » (متى ٧: ١٦). ان تصرفهم يشبه تصرف الشيطان الواشي الذي يوغر الصدور : « المشتكي على اخوتنا » (رؤيا ١٢: ١٠).

الحق يقدس

للمضل العظيم أعوان كثيرون على تمام الاهبة لتقديم كل أنواع الضلالات لاصطياد النفوس، وهي معدة بحيث تناسب الاذواق والكفاءات المختلفة للذين يريد أن يهلكهم. وخطته هي أن يضم الى الكنيسة عناصر غير مخلصة ولا متجددة تشجع على الشك وعدم الايمان، وان يعرقل من يرغبون في أن يروا عمل الله متقدما وفي المضي به الى الامام. فكثيرون ممن لا يوجد عندهم ايمان حقيقي بالله أو بكلمته يقبلون بعض مبادئ الحق وينجحون في الامتحان ويُعتبرون مسيحيين، وبذلك يكونون قادرين على تقديم ضلالاتهم كتعاليم كتابية.

ان الرأي القائل بأن ما يعتقده الناس ليس أمرا عظيم الاهمية هو رأي من أنجح مكايد الشيطان. فهو يعرف أن الحق الذي يقبله الانسان حبا به يقدس نفس من يقبله، ولذلك يحاول الشيطان دائما ان يستبدل الحق بنظريات وخرافات كاذبة وبانجيل آخر. لقد ناضل عبيد الله منذ البدء ضد المعلمين الكذبة ليس فقط لمجرد كونهم قوما اشرارا بل لانهم يغرسون في اذهان الناس الضلالات والاكاذيب المهلكة للنفس. فايليا وارميا وبولس قاوموا بكل شجاعة اولئك الذين كانوا يحولون الناس عن كلمة الله. وذلك التساهل الذي يعتبر العقيدة الدينية السليمة عديمة الاهمية لم يجد قبولا لدى هؤلاء القديسين المدافعين عن الحق

ان التفسير الخيالي الغامض للكتاب والنظريات الكثيرة المتضاربة الخاصة بالعقيدة الموجودة في العالم المسيحي هي من صنع خصمنا العظيم

لكي يربك العقول فلا تميز الحق. ثم ان النفور والشقاق الكائن بين الكنائس في العالم المسيحي يعزى الى حد كبير الى عادة تحريف الكتاب السائدة ليدعم نظرية محبوبة. فان كثيرين بدلا من أن يدرسوا كلمة الله باهتمام وبقلوب متواضعة ليحصلوا على معرفة مشيئته يحاولون اكتشاف شيء شاذ أو جديد.

فلكي يدعم البعضُ العقائد المغلوطة أو الممارسات التي لا صلة لها بالمسيحية يتشبثون بفصل من الكتاب منفصل عن سياقه وربما يقتبسون نصف آية للبرهان على صدق رأيهم، في حين أن باقي الآية قد تبرهن على عكس ذلك. فبدهاء الحية يحصِّنون أنفسهم خلف ألفاظ مفككة يفسِّرونها لتلائم رغباتهم الجسدية. وهكذا يحرف كثيرون كلمة الله في اصرار وعناد. وهناك آخرون لهم خيال وتصور نشيطان يتمسكون بصور الكتاب المقدس ورموزه ويفسرونها بحيث تناسب اوهامهم، مع التفات قليل الى شهادة الكتاب الذي هو مفسر نفسه، وحينئذ يقدمون أوهامهم على أنها تعاليم الكتاب.

الكتاب، المرشد الوحيد

وكلما شرعنا في درس الكلمة من دون روح الصلاة والاتضاع والاستعداد للتعلم فان أبسط فصول الكتاب وأشدها تعقيدا عل السواء تُحرَّف عن معناها الصحيح. ان الرؤساء البابويين يختارون الفصول الكتابية التي تخدم أغراضهم ويفسرونها لتناسبهم ثم يقدمونها الى الشعب، في حين أنهم ينكرون عليهم حقهم في درس الكتاب وفهم حقائقه لانفسهم. ينبغي أن يعطى الكتاب كله للشعب كما هو على بساطته. وخير لهم الا يتلقوا تعاليم كتابية أو ارشادات اطلاقا من أن يحرف تعليم الكتاب بهذه الطريقة المخجلة.

لقد قُصد بالكتاب أن يكون مرشدا لكل من يرغبون في معرفة ارادة جابلهم. ولقد أعطى الله الناس كلمة النبوة الثابتة. أتى الملائكة بل حتى المسيح نفسه لإفهام دانيال ويوحنا ما لا بد أن يكون قريبا. فتلك الامور المهمة

المختصة بخلاصنا لم تكن لتترك في حال الخفاء والغموض. وهي لم تعلن على نحو يربك الطالبين والباحثين الامناء عن الحق أو يضلهم. وقد قال الرب على لسان حبقوق النبي : « اكتب الرؤيا وانقشها على ألواح لكي يركض قارئها » (حبقوق ٢ : ٢). ان كلمة الله واضحة لكل من يدرسونها بقلوب مصلية. فكل نفس أمينة بالحق تأتي الى نور الحق، « نور قد زرع للصديق » (مزمور ٩٧: ١١). ولا يمكن لكنيسة أن تتقدم في القداسة ما لم يبحث اعضاؤها عن الحق بكل غيرة كمن يبحثون عن كنوز مخبوءة.

صرخة التساهل

ان الناس اذ ينطقون بكلمة التساهل يتعامون عن مكايد العدو في حين انه طول الوقت يعمل بكل مثابرة لاتمام غرضه. واذ ينجح في ابدال الكتاب المقدس بالنظريات البشرية يُلقي بشريعة الله جانبا وترزح الكنائس تحت عبودية الخطيئة في حين أنهم يدَّعون أنهم أحرار.

لقد صار البحث العلمي لعنة لكثيرين. ان الله سمح أن ينسكب فيض من النور على العالم في الاستكشافات في العلوم والفنون. ولكن حتى أعظم العقول الجبارة ان لم تكن كلمة الله مرشدا لهم في بحثهم فسيرتبكون في محاولاتهم أن يفحصوا العلاقات بين العلم والوحي الالهي.

ان المعرفة البشرية للاشياء المادية والروحية هي معرفة جزئية ناقصة، ولذلك يعجز كثيرون عن التوفيق بين آرائهم العلمية وحقائق الكتاب. وكثيرون يقبلون النظريات والآراء المحضة كحقائق علمية ويظنون أن كلمة الله يجب أن تختبر بتعاليم « العلم الكاذب الاسم » (١ تيموثاوس ٦: ٢٠). ان الخالق وأعماله فوق ادراكهم. ولكونهم لا يستطيعون ايضاح هذه الامور بالقوانين الطبيعية فهم يعتبرون تاريخ الكتاب مما لا يُركن اليه. والذين يشكّون في وثوق سجلات العهدين القديم والجديد وثباتها يتقدمون في غالب الاحيان خطوة جريئة اخرى فيشكون

في وجود الله وينسبون قوته غير المحدودة الى الطبيعة. فحيث قد افلتوا المرساة من ايديهم يُتركون ليصطدموا بصخور الالحاد.

وهكذا يضل كثيرون عن الايمان وينخدعون باكاذيب الشيطان. لقد حاول الناس أن يكونوا أحكم من خالقهم، وقد حاولت الفلسفة البشرية ان تكتشف وتفسر أسرارا لن يمكن اكتشافها أو اعلانها مدى دهور الابد. ولو بحث الناس وفهموا ما قد أعلنه الله عن نفسه ومقاصده لحصلوا على رؤىا عظيمة لمجد الله وجلاله وقدرته بحيث يتحققون من حقارتهم ويقنعون بما قد أعلن لهم ولأولادهم.

انها طُرفة من طرف مخادعات الشيطان كونه يجعل عقول الناس تبحث وتخمن ما لم يعلنه الله وما يقصد أن يبقيه طي الخفاء فلا يدركه أحد. على هذا النحو سقط لوسيفر من مركزه الذي كان له في السماء. لقد صار متبرما لانه لم يُستأمن على كل اسرار مقاصد الله واستخف تمام بما قد أعلن له عن عمله في المركز السامي الذي عُين فيه. واذ أثار التذمر نفسه في نفوس الملائكة الذين تحت أمرته تسبب بسقوطهم. والآن هو يحاول أن يرسخ الروح نفسها في أذهان الناس وان يجعلهم يستخفون بأوامر الله الصريحة.

عمل الضلال المسر

ان الذين لا يرغبون في قبول حقائق الكتاب الواضحة المؤثرة يبحثون دوما عن الخرافات المسرة التي تهدئ ضمائرهم. وكلما كانت التعاليم المقدمة أقل روحانية وانكارا للذات واذلالا للنفس قبلها الناس بسرور. هؤلاء الناس يحطون من قدر القوى العقلية في سبيل خدمة شهواتهم الجسدية. واذ يدفعهم غرورهم الى اعتبار أنفسهم أحكم من أن يفتشوا الكتب بنفوس منسحقة وبالصلوات الحارة في طلب الارشاد الالهي لا يجدون ترسا يقيهم من الضلال. والشيطان على استعداد لان يمنح القلب مشتهاه وهو يلصق أكاذيبه

في موضع الحق. لقد بسطت البابوية سلطانها على عقول الناس بهذه الطريقة، واذ يرفض البروتستانت الحق لانه يتطلب حمل الصليب فهم يسيرون في الطريق نفسه. فكل من يهملون كلمة الله ليدرسوا آداب اللياقة واللباقة والسياسة حتى لا يكونوا على خلاف مع العالم سيُتركون ليقبلوا الهرطقة اللعينة بدلا من الحق الديني. والذين بمحض اختيارهم يرفضون الحق سيقبلون كل أشكال الضلال التي تخطر على البال .ومَن ينظر برعب الى أحد الضلالات سيقبل ضلالا آخر بسرعة. ان بولس الرسول، وهو يتكلم عن فئة من الناس الذين « لم يقبلوا معرفة الحق حتى يخلصوا »، يعلن قائلا : « ولاجل هذا سيرسل اليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالاثم » (٢ تسالونيكي ٢: ١٠ ــ ١٢). فحيال هذا الانذار ينبغي لنا أن نسهر ونكون على حذر بالنسبة الى التعاليم التي نقبلها.

اخطاء خطرة

من بين أنجح الوسائل التي يستخدمها المخادع الاكبر التعاليم المضلة والعجائب الكاذبة التي يقدمها من يعتقدون بمناجاة الارواح .فاذ يتنكر في شبه ملاك نور فهو يلقي شباكه في الاماكن التي قلما يشتبه بها. ولو درس الناس كتاب الله بصلاة حارة حتى يفهموه لما كانوا يُتركون في الظلام لقبول التعاليم الكاذبة. ولكن اذ يرفضون الحق يسقطون فريسة الضلال .

وهنالك ضلالة خطرة أخرى وهي العقيدة التي تنكر الوهية المسيح اذ تدَّعي أنه لم يكن له وجود قبل مجيئه الى العالم. هذه النظرية يقبلها بكل رضى فئة كبيرة من الناس الذين يعترفون بايمانهم بالكتاب. ومع ذلك فهذه العقيدة تناقض مناقضة صريحة أبسط التصريحات التي نطق بها مخلصنا عن علاقته بالآب ،وصفاته الالهية ووجوده من قبل. ولا يمكن قبول هذه العقيدة ما لم يحرف الناس الكتب المقدسة تحريفا غير مباح. وفضلا عن كونها تحط من ادراك الانسان لعمل الفداء فانها أيضا تقوض الايمان بالكتاب كاعلان من الله. وفي

حين أن هذا يجعلها أشد خطرا فهو يجعلها صعبة المواجهة. فاذا كان الناس يرفضون شهادة الكتاب الموحى به عن لاهوت المسيح فعبثا نجادلهم في ذلك لانه لا يمكن لأي حجة أن تقنعهم مهما تكن قوة اقناعها عظيمة. « الانسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لانه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لانه انما يحكم فيه روحيا » (١ كورنثوس ٢ :١٤) .وكل من يعتنقون هذه الضلالة لا يستطيعون ادراك صفات المسيح أو رسالته ادراكا حقيقيا، ولا يعرفون تدبير الله العظيم لفداء الانسان.

ثم هنالك ضلالة أخرى ماكرة وخبيثة وهي الاعتقاد السريع الانتشار بأن الشيطان لا وجود له ككائن شخصي، وان الاسم الذي قد أطلقه عليه الكتاب انما ذكر فقط لتصوير أفكار الناس ورغائبهم الشريرة.

والتعليم الذي يرن صداه في كل مكان من المنابر الشهيرة والقائل ان المجيء الثاني للمسيح هو مجيئه لكل فرد في ساعة الموت، انما هو ميكدة لتحويل أفكار الناس عن مجيئه بنفسهِ على سحاب السماء. لقد ظل الشيطان يقول عدة سنين : « ها هو في المخادع » (متى ٢٤: ٢٣ ــ ٢٦). وقد هلكت نفوس كثيرة بسبب هذه الضلالة.

ثم ان الحكمة البشرية تعلِّم أن الصلاة ليست أمرا جوهريا. ورجال العلم يدعون أنه لا يمكن أن تكون هنالك اجابة حقيقية للصلاة، وان ذلك يكون خرقا للنواميس، وانه معجزة، والمعجزات لا وجود لها. ويقولون ان الكون تحكمه نواميس ثابتة والله نفسه لا يفعل شيئا مناقضا لهذه النواميس. وهكذا يصورون الله على أنه محكوم ومرتبط بنواميسه، كما لو أن عمل النواميس الالهية يحرِّم على الله التمتع بالحرية الالهية. مثل هذا التعليم مضاد لشهادة الكتاب.أفلم يصنع المسيح وتلاميذه معجزات ؟ ان ذلك المخلص الرحيم نفسه حي اليوم وهو يرغب في الاستماع الى صلاة الايمان كما كان حين كان يسير بين الناس بهيئة منظورة. ان الطبيعي يتعاون مع ما هو فوق الطبيعة. انه جزء من تدبير الله

أن يمنحنا، إجابة لصلوات الايمان، ما لم يكن ليمنحنا اياه لو لم نطلبه.

مستندات أهل العالم

وكثيرة هي التعاليم المغلوطة والآراء الوهمية التي تتفشى في الكنائس في العالم المسيحي. ويستحيل علينا أن نقدر النتائج الوبيلة المضِّرة لإزالة أحد المعالم المثبتة في كلمة اللّه. أما الغالبية العظمى فيظلون يطرحون جانبا واحدا بعد الآخر مبادئ الحق حتى يصيروا ملحدين بالفعل.

قادت اخطاء اللاهوت الرائج شعبياً الى الشك نفوساً كثيرةً كان ممكنا ان تؤمنَ بالكتب المقدسة لولا هذه الاخطاء. ذلك انه يستحيل على المؤمن ان يتقبل عقائد تنتهك حسه بالعدالة والرحمة وحب الخير؛ ولان عقائد كهذه صُورت على انها تمثل الكتاب المقدس فقد رفضت هذه النفوس تقبُّلَه ككلمة اللّه.

وهذا هو الغرض الذي يسعى الشيطان لتحقيقه. فلا شيء يرغب في تدميره أكثر من الثقة باللّه وبكلمته. يقف الشيطان في طليعة جيش المتشككين العظيم ويبذل قصاراه في اغراء النفوس للانضمام الى صفوفه. لقد صار الشك أمرا مألوفا ومتمشيا مع موضة العصر. فثمة فئة كبيرة من الناس ينظرون الى كلمة اللّه نظرة الشك للسبب نفسه الذي من أجله يشكون في مبدعها : لانها توبخ الخطيئة وتدينها. فالذين لا يرغبون في إطاعة متطلباتها يحاولون أن يهدموا سلطانها. انهم يقرأون الكتاب أو يصغون الى تعاليمه كما هي مقدمة من المنبر المقدس لمجرد البحث عن غلطة في الكتاب أو في العظة. وكثيرون يصيرون ملحدين لكي يجدوا تبريرا أو عذرا لاهمال واجبهم. وآخرون يعتنقون مبادئ تشكيكية بسبب الكبرياء أو البلادة. فاذ يفرطون في حب الراحة بحيث لا يبرزون أنفسهم بانجاز أي عمل خليق بالكرامة ويتطلب بذل المجهود وانكار الذات فهم يهدفون الى الاشتهار بحكمة سامية بانتقادهم الكتاب المقدس. ثمة شيء كثير يعجز العقل المحدود غير المستنير بالحكمة الالهية

عن أن يدركه، وهكذا يجدون مجالا للانتقاد. ويوجد الكثيرون ممن يبدو أنهم يحسون أن الفضيلة هي في الوقوف الى جانب عدم الايمان والشكوك والالحاد. ولكن تحت مظهر الاخلاص سيُرى أن مثل أولئك الناس مدفوعون بدافع الثقة بالنفس والكبرياء. كثيرون يسرون لو وجدوا في الكتاب المقدس شيئا يربك عقول الآخرين ويحيرهم. بعض الناس في بادئ الامر ينتقدون ويتحاجون على الجانب المخطئ لمجرد حب الجدال. وهم لا يفطنون الى أنهم يوقعون أنفسهم في فخ الصياد. ولكن بما أنهم جاهروا بعدم الايمان فهم يحسون أنه ينبغي أن يثبتوا على موقفهم. وهكذا يتحدون مع الاشرار ويغلقون أبواب الفردوس بينما هم في خارجه .

أساس متين

لقد أعطى الله في كلمته البرهان الكافي على صفتها الالهية. فالحقائق العظيمة الخاصة بفدائنا مقدمة فيها بكل وضوح. وبمساعدة الروح القدس، التي وُعد بها كل من يطلبونها باخلاص، يستطيع كل انسان أن يفهم هذه الحقائق لنفسه. لقد منح الله الانسان أساسا راسخا يمكن أن يضع عليه ايمانه.

ومع ذلك فعقول الناس محدودة قاصرة عن أن تدرك ادراكا كاملا تدابير الله غير المحدودة ومقاصده. اننا لا نستطيع بالبحث والاستقصاء أن نجد الله. وينبغي الا نحاول أن نرفع بايدينا الوقحة الستار الذي يخفي الله جلاله خلفه. ان الرسول يهتف قائلا : « ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ! » (رومية ١١: ٣٣). ففي وسعنا أن ندرك معاملاته معنا والبواعث التي تدفعه الى ذلك بحيث يمكننا أن نرى محبته ورحمته اللامحدودتين والمرتبطتين بالقدرة غير المتناهية. ان أبانا السماوي يدبر كل شيء بحكمة وعدل وعلينا ألا نتذمر أو نشك بل أن نسجد أمام الله في خضوع واحترام. انه سيعلن لنا مقاصده بقدر ما هو من صالحنا أن نعرفه، ولكن أكثر من هذا علينا أن نثق بيد الله القدير وقلبه المفعم بالمحبة.

وفي حين أن الله أعطى البرهان الكافي للايمان فهو لن يلغي كل عذر لعدم الايمان. فكل من يبحثون عن خطاطيف يعلقون عليها شكوكهم سيجدونها. والذين يرفضون قبول كلمة الله واطاعته الى أن يُزال كل اعتراض ولا يعود بعد مجال للشك فلن يأتوا الى النور.

ان الشك في الله هو النتاج الطبيعي للقلب غير المتجدد الذي هو عداوة لله. أما الايمان فهو ما يلهمه الروح القدس، وهو سيزهر وينمو على قدر ما يتغذى. ولا يستطيع انسان أن يصير قويا في الايمان من دون أن يبذل جهدا وعزما. ان عدم الايمان يتقوى على قدر ما يجد تشجيعا، واذا كان الناس بدلا من التعويل على البراهين التي أعطاها لهم الله لاسناد ايمانهم يعمدون الى التساؤل والمماحكة فسيجدون أن شكوكهم تزداد رسوخا على الدوام.

لكنّ الذين يشكون في مواعيد الله ولا يثقون بيقين نعمته انما يهينونه، وهم بدلا من أن يجتذبوا الآخرين الى المسيح فهم يبعدونهم عنه. انهم أشجار عقيمة تنشر ظلالها القاتمة في كل مكان وتحجب نور الشمس عن النباتات الاخرى وتجعلها تذوي وتموت تحت ظلها القارس البرد. وسيظهر عمل اولئك الناس مدى الحياة شهادة ضدهم تبقى على الدوام. انهم يزرعون بذار الشك والالحاد الذي سينتج حصادا لا ينضب.

ليس أمام الذين يرغبون بكل اخلاص أن يتحرروا من الشكوك غير طريق واحد يسلكونه. فبدلا من التساؤل والمماحكة في ما لا يفهمونه ليلتفتوا الى النور الذي قد أشرق عليهم وحينئذ سيحصلون على نور أعظم. عليهم القيام بكل واجب اتضح أمام افهامهم وحينئذ سيكونون قادرين على فهم الواجبات التي يشكون فيها الآن وعلى القيام بها.

يستطيع الشيطان أن يقدم تقليدا للحق قريب الشبه به جدا بحيث يخدع الذين يرغبون في أن ينخدعوا والذين لا يرغبون في انكار الذات في التضحية اللذين يطلبهما الحق. ولكن يستحيل عليه أن يُبقي تحت سيطرته نفسا واحدة

ترغب مخلصة في معرفة الحق مهما تكن الكلفة. ان المسيح هو الحق وهو « النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتيا الى العالم » (يوحنا ١: ٩). وروح الحق قد أرسل ليرشد الناس الى جميع الحق. وقد أعلن بناء على سلطان ابن الله هذا الوعد : « اطلبوا تجدوا » « ان شاء احد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم » (متى ٧: ٧؛ يوحنا ٧: ١٧).

لا يعرف أتباع المسيح الا القليل عن المؤامرات التي يحيكها الشيطان وجنوده ضدهم. لكنّ الساكن في السموات سيسيطر على كل هذه المؤامرات لاتمام مقاصده العميقة. ان الرب يسمح أن يجتاز شعبه في بلوى التجربة المحرقة لا لانه يسر بوقوع الضيق أو البلوى عليهم بل لان هذه العملية لازمة وجوهرية لنصرتهم النهائية. انه لم يستطع، بما يتفق مع مجده، أن يقيهم من التجربة لان غاية التجربة هي اعدادهم لمقاومة كل مغريات الشر.

ولكنْ لا الناس الأشرار ولا الشياطين يستطيعون تعطيل عمل الله أو حجب وجهه عن شعبه اذا كانوا بقلوب خاضعة منسحقة يعترفون بخطاياهم ويتركونها، وبالايمان يتمسكون بمواعيده ويطالبونه بها. فكل تجربة وكل تأثير معاكس سواء في السر أو العلانية يمكن مقاومته بنجاح « لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود » (زكريا ٤: ٦).

قوة المهلك

« عينا الرب على الابرار واذناه الى طلبتهم ... فمن يؤذيكم ان كنتم متمثلين بالخير » (١ بطرس ٣: ١٢و ١٣). ان بلعام عندما بهره الوعد بمكافآت غنية سخية حاول استخدام عرافته ضد العبرانيين، واذ قدم محرقات الى الرب حاول أن يستنزل لعنة على شعبه، لكنّ روح الله منع الشر الذي تاق بلعام الى النطق به فأرغم على أن يصرخ قائلا : « كيف ألعن من لم يلعنه الله وكيف أشتم من لم يشتمه الرب ؟ » « لتمت نفسي موت الابرار ولتكن

آخرتي كآخرتهم ». وعندما قُدمت المحرقة مرة أخرى أعلن ذلك النبي الشرير قائلا : « اني قد أمرت أن أبارك فانه قد بارك فلا أرده. لم يبصر اثما في يعقوب ولا رأى تعبا في اسرائيل. الرب الهه معه وهتاف ملك فيه ». «انه ليس عيافة على يعقوب ولا عرافة على اسرائيل. في الوقت يقال عن يعقوب وعن اسرائيل ما فعل الله». وللمرة الثالثة أقيمت المذابح وحاول بلعام مرة أخرى أن يستنزل لعنة. ولكن من بين شفتي ذلك النبي الكارهتين أعلن روح الله نجاح مختاريه ووبخ جهالة أعدائهم وخبثهم فقال : « مباركك مبارك ولاعنك ملعون » (سفر العدد ٢٣: ٨ و ١٠ و ٢٠ و ٢١ و ٢٣؛ ٢٤: ٩).

كان العبرانيون مخلصين في ولائهم لله في ذلك الوقت، وطالما كانوا مطيعين شريعته لم يكن في مستطاع قوة في الارض أو في الجحيم أن تقوى عليهم لكنّ بلعام الذي لم يُسمح له أن ينطق باللعنة على شعب الله نجح أخيراً في صبها عليهم عن طريق اغرائهم بارتكاب الخطيئة. فلما تعدوا وصايا الله انفصلوا حينئذ عنه وتُركوا ليقاسوا قوة المهلك.

يعلم الشيطان جيدا أن أضعف نفس تثبت في المسيح هي أكثر من ند لجنود الظلمة، وانه لو أظهر نفسه جهارا سيجابَه ويقاوَم. ولذلك هو يحاول أن يستدرج جنود الصليب بعيدا من معاقلهم وحصونهم بينما يكمن لهم مع جنوده وهو على استعداد لاهلاك كل من يجرؤ على الاقتراب من أرضه. ونحن يمكننا بالاتكال المتواضع على الله وإطاعة وصاياه أن نكون في أمان .

لن يكون أي انسان في أمان يوما واحدا أو ساعة واحدة من دون صلاة. وينبغي لنا على الخصوص أن نتوسل الى الرب في طلب الحكمة لفهم كلامه. ففي كلمة الله تُعلن مكايد المجرب ووسائل مقاومتها بنجاح. ان الشيطان خبير في اقتباس الآيات الكتابية وهو يقدم تفسيره الخاص للفصول التي يؤمل أننا سنعثر فيها. فعلينا أن ندرس الكتاب بقلب متواضع ولا نغفل عن الاعتماد على

الله. ففي حين يجب علينا أن نكون على حذر دائما من مكايد الشيطان علينا أن نصلي دائما بايمان قائلين : « لا تدخلنا في تجربة ».